

عبد الحميد كشك

رحلة إلى الأندلس الأخيرة

المكتب المصري الحديث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد — الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، ومحا الظلمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، ورسولا عن قومه .

أما بعد ..

فهذا كتاب احتوى على حقائق تدور حول ما بعد الموت من مراحل متعددة ، أقسم الله تعالى بها فى قوله : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركن طبقا عن طبق » .

هذا قسم شريف من الواحد الديان ، يقسم تعالى بالشفق ، وهو ذلك السحاب الأحمر الذى يؤذن برحيل النهار ،

ووداع هذه المرحلة الزمانية بعدما صار النهار طفلا ،
فشابا ، ثم أدركه الفناء والهرم ، كما يقسم تعالى بالليل
وما جمع من المتناقضات : هؤلاء قائمون ساجدون ، وأولئك
في غيهم سادرون معاقرون ، لياليهم حمراء مليئة بالمعاصي
والاعراض عن الله ، وهؤلاء في غفلة ، وأولئك نائمون ،
وهكذا الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا .

كما يقسم تعالى بالقمر إذا اتسق : أى اكتمل واستدار
وصار بدرا ، وما بعد الكمال إلا النقصان .

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يفر بطيب العيش انسان

فأين جواب القسم الذى أقسم الله عليه بالشفق والليل
والقمر ؟

انه قوله تعالى : « لتركبن طبقا عن طبق » . أى لترن
بطبقات ودرجات من المشاهد والمصاعب والمفاجآت ، فالمرتبة
أول هذه الطبقات ، يليه سؤال القبر فى عالم البرزخ ، يليه
النفخ فى الصور ، يليه البعث من القبور ، يليه الحشر فى
ساحة القيامة يوم العرض على الله ، فىلى ذلك تطاير الصحف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَبِيمِينَةٍ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأْ وَأَكْتَبِيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي
ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾
وَلِمَ أَذِرْ مَا حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلْبِثَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾
خَذُوهُ فَعُْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾

والوزن وما أدراك ما الوزن ؟ ! قال تعالى : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » ثم ماذا ؟

والصراط قال تعالى : « فوريك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم حول جهنم جثیا . ثم لننزعن من كل شیعۃ ایهم اشد علی الرحمن عتیا . ثم لنحن اعلم بالذین هم أولى بها صلیا . وان منکم الا واردها كان علی ربك حتما مقضیا . ثم ننجی الذین اتقوا ونذر الظالمین فیها جثیا » .

ثم ماذا ؟ « ووفیت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسیق الذین كفروا الی جهنم زمرا حتی اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم یأتکم رسل منکم یتلون علیکم آیات ربکم وینذرونکم لقاء یومکم هذا ، قالوا بلی ، ولكن حققت کلمۃ العذاب علی الکافرین . قیل ادخلوا أبواب جهنم خالذین فیها فبئس مثوی المتکبرین . وسیق الذین اتقوا ربهم الی الجنة زمرا حتی اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام علیکم طبتم فادخلوها خالذین . وقالوا الحمد لله الذی صدقنا وعده . وأورثنا الأرض ننبؤا من الجنة حیث نشاء فننعم اجر العاملین . وترى الملائکة حافین من حول العرش یسبحون بحمد ربهم وقضی بینهم بالحق وقیل الحمد لله رب العالمین » .

ما جاء عن ملك الموت ووقفه على كل ميت

ولنبداً القصة من أولها ، ولنمسك بطرف خيطها الأول ، وابن آدم على فراش الموت . « كلا اذا بلغت التراقي . وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . « فلولاً اذا بلغت الحلقوم . وانتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولاً ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين » .

روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال : اذا قبض ملك الموت روح المؤمن ، قام على عتبة الباب ، ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها بيديها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت مم هذا الجزع فوالله ما نقصت لأحد منكم عمراً ، ولا أذهبت لأحد منكم رزقاً ، ولا ظلمت أحداً منكم شيئاً ، فان كانت شكايتم وسخطكم على بغير حق ، فأمرى الى الله تعالى لأنى عبد مأمور تحت القهر ، وان كانت شكايتم من ربكم ، فانتهم به كفره ، وان لى فيكم عودة ثم عودة ، حتى لا أبقي منكم أحداً .

وفى الحديث « ما من بيت الا وملك الموت يقف كل يوم على بابه خمس مرات ، فاذا وجد الانسان قد نفذ أكله ، وانقطع أجله ، ألقى عليه غمرات الموت ، فغشيته كرباته وغمراته ، فمن أهل بيته الناشرة شعرها ، والضاربة وجهها ، والباكية

بشجوها ، والصارخة بويلها ، فيقول ملك الموت : ويلكم مم
الفرع ومم الجزع ، ما اذهبت لأحد منكم رزقا ، ولا قربت له
أجلا . الحديث . قال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي
نفسى بيده ، لو يرون مكانه ، ويسمعون كلامه ، وما هو
عليه ، لذهلوا عن ميتهم ، ولبكوا على أنفسهم ، ثم اذا حمل
الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهى تنادى :
يا أهلى يا أولادى ، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى .
جمعت المال من حله ومن غير حله ، فالمهنة لكم والتبعة
على ، فاحذروا مثل ما حل بى » .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال : « نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من
الانصار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفق
بصاحبى فإنه مؤمن ، فقال ملك الموت ، يا محمد : طب
نفسا ، وقر عينا ، فانى بكل مؤمن رفيق . ثم قال : وما من
أهل بيت من مدر ولا شعر ، فى بر ولا بحر الا وانا أتصفحهم
فى كل يوم خمس مرات . حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم
منهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو أتى أردت قبض روح
بموضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها »

وذكر الامام الماوردى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات
الخمسة .

قال الامام القرطبى رضى الله تعالى عنه : وفى هذا الحديث
ما يدل على أن ملك الموت هذا هو الموكل بقبض كل ذى
روح ، وأن تصرفه كله بأمر الله عز وجل فى خلقه واختراعه .

ولكن ذكر ابن عطية أن في الحديث «ان الله تعالى يقبض أرواح البهائم دون ملك الموت» . قال وكذلك الأمر في بنى آدم ، الا أن لهم نوع شرف بشركة ملك الموت أو الملائكة معه في قبض أرواحهم ، فخلق الله تعالى ملك الموت ، وجعل على يديه قبض الأرواح وأسلاها من الأجساد ، وأخرجها منها ، وخلق جندا يكون معه يعملون عمله بأمره . قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » .

وقال تعالى : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » ، وقال تعالى : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، فهو تعالى خالق الوجود من سائر المخلوقات ، وفاعل لكل فعل ، وقد ذكرنا فيما تقدم أن ملك الموت يقبض الأرواح ، والأعوان يعالجون ، والله تعالى يزهد الأرواح . وفي هذا جمع بين الآيات والأخبار ، لكن لما كان ملك الموت يتولى ذلك بالواسطة المباشرة ، أضيف ذلك التوفى اليه ، كما أضيف الخلق الى عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » الآية . والى الملك في نحو حديث مسلم مرفوعا « اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون ليلة ، بعث الله تعالى لها ملكا ، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ، ثم يقول : يا رب اذكر أم أنثى » الحديث .

قال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » . وقال تعالى : « الله خالق كل شيء » . فقد علمت صحة اضافة الخلق والتصوير الى الخلق باذن الله وصحة اضافة التوفى الى ملك

الموت ، وان كان الله تعالى هو الخالق والمصور والقباض للأرواح حقيقة والله تعالى اعلم .

وفي الحديث « ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا ، فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة : أنا أحيى الموتى ، فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتما له ، فأنا المميت المحيى ولا مميت ولا محيى سوى » .

وروى الحافظ أبو نعيم عن ثابت البناني رضى الله عنه أنه قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتى على ذى روح الا وملك الموت قائم عليها ، فان أمر بقبضها قبضها والا ذهب ، وهذا عام فى كل ذى روح .

وفي الحديث « ان ملك الموت ينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين مرة ، فاذا ضحك العبد الذى بعث اليه قال : يا عجباً لابن آدم ، بعثت اليه لأقبض روحه وهو مع ذلك يضحك » .

روى الشيخان عن أبى هريرة — رضى الله تعالى عنه — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسرعوا بالجنائز ، فان تك سالحة فخير تقدمونها اليه ، وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » .

وفى رواية البخارى « اذا وضعت الجنائز واحتملها الرجال على أعناقهم ، فان كانت سالحة ، قالت : قدمونى قدمونى ، وان كانت غير سالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بهما ، فيسمع صوتها كل شيء الا الانسان ، ولو سمعه لصعق » .

قال العلماء — رضى الله تعالى عنهم — والمراد بالاسراع بالجنائزة ، ما يعم غسلها وتكفينها وحملها والمشى معها مشيا دون الخبيب ، فانه يكره الاسراع الذى يشق على ضعفه من يتبعها . وكان ابراهيم النخعى — رضى الله عنه — يقول : يمشون بها قليلا قليلا سجية العادة ، ولا يدبون بها دبيب اليهود والنصارى ، وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يكرهون الابطاء ويحبون العاجلة .

الامانة عند الدفن

من عظمة الاسلام فى رعاية الامانات ، انه جعل من الدفن مسئولية تتعلق بالامانة ، فامر ببسط ثوب عند الدفن ، ونهى عن الاطلاع فى القبر اثناء وضع الميت فيه حتى لاتذاع اسرار الميت ، فان القبور ظاهرها الأحجار والتراب ، وداخلها الثواب والعقاب ، واليك تفصيلا لهذا الحكم .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب بسط على القبر وقال : « لا تطلعوا فى القبر فانها امانة ، فربما أمر به الى النار فيسمع صوت السلاسل » .

وهذه العلة تعطى أن ذلك لا يختص بالمرأة كما قيل ، بل يستحب بسط الثوب على القبر للرجل والمرأة .

وفى رواية أخرى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطلعوا فى

القبر فانها امانة ، فعسى أن يحل بالعبد ما قدره الله عليه من العذاب والعقوبة ، فيرى حية سوداء مطوقة في عنقه ، أو قتل يؤمر به الى النار فيسمع صوت السلاسل .

والسوداء المذكورة هي أعماله السيئة كما قاله العلماء ، فيتصور لكل انسان عمله في صورة قبيحة يعذب بها الى يوم القيامة .

وقد حكى الامام القرطبي رحمه الله: أن صاحبه عبدالرحمن القصرى أخبره أنه تولى دفن بعض الولاة بالقسطنطينية ، فلما حفروا له وفرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوه القبر ، إذا بحية سوداء داخل القبر ، فهابوا أن يدخلوه فيه ، فحفروا له قبر آخر ، فلما أرادوا أن يدخلوه فيه إذا بتلك الحية فيه فلم يزالوا يحفرون له الى ثلاثين قبراً والحية تتعرض لهم في القبر ، فأجمع رأى الناس على أن يدفنوه مع تلك الحية تسليماً لله عز وجل .

وصول قراءة القرآن للميت

هذه مسألة كثر الكلام حولها ، فمن قائل بوصول قراءة القرآن الى الميت اذا كان ذلك احتساباً لوجه الله دون أن يقصد القارىء من وراء ذلك علة أخرى ، مادية كانت أو رياء وسمعة ومن قائل بأن القراءة لا تصل الى الميت ، ونحن نذكر هنا رأى الذين قالوا بوصول القراءة الى الميت كما ورد ذلك فى كتاب « مختصر تذكرة القرطبي » .

كان الامام أحمد بن حنبل — رضى الله تعالى عنه — يقول : اذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل اليهم ، وكان رضى الله تعالى عنه ينكر قبل ذلك وصول الثواب من الأحياء للموتى ، فلما حدثه بعض الثقات أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة ، رجع عن ذلك ، وكذلك بلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام — رحمه الله — أنه كان ينكر وصول ثواب القراءة للموتى ويقول : قال الله تعالى « وأن ليس للانسان الا ما سعى » فلما مات رآه بعض أصحابه فسأله عن ذلك فقال : قد رجعت عما كنت أقوله من عدم وصول الثواب الى الموتى من القسارىء حين رأيت وصوله وأنا فى القبر . ويؤيد ذلك ما رآه الحافظ السلفى مرفوعا « من مر بالمقابر فقرأ قل هو الله أحد ، احدى عشرة مرة ، ثم وهب أجره للأموات أعطى من الاجر بعدد الأموات » .

وكان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول : من دخل المقابر فقال : « اللهم رب هذه الأجساد البالية ، والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، اللهم فادخل عليها روحا منك وسلاما منى كتب له بعددهم حسنات . قال الامام القرطبى رحمه الله : وقد أجمع العلماء على وصول ثواب الصدقة للأموات ، فكذلك القول فى قراءة القرآن والدعاء والاستغفار اذ كل صدقة ، ويؤيده حديث « وكل معروف صدقة » فلم يخص الصدقة بالمال ، وكذلك يؤيده قوله صلى

الله عليه وسلم « الميت في قبره كالغريق المتعوب ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه أو من صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار » .

وحكى عن الحسن البصرى رضى الله عنه : أن امرأة كانت تعذب في قبرها ، وكل الناس يرون ذلك في المنام ثم رؤيت بعد ذلك وهى في النعيم ، فقيل لها ما سبب ذلك ؟ فقالت مر بنا رجل فقرا الفاتحة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهدى ذلك لنا وكان في المقبرة خمسمائة وستون رجلا في العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن الحرث بن منهال أنه قال : زرت جبانة مرة فغلب على النوم في محراب فنمت ، وكان فيه قبر فسمعت صوت مقمعة من حديد يضرب بها صاحب ذلك القبر وفي عنقه سلسلة وهو أسود الوجه أزرق العينين وهو يقول : يا ولى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا لما ركب أحد منهم المعاصى طولبت والله بالذات فأوبقتنى ، وبالخطايا فأحرقتنى ، فهل من مخبر أهلى بأمرى .

قال الحرث : فاستيقظت من منامى فزعا مرعوبا وسألت عن أهله ، فوجدت له ثلاث بنات فأخبرتهن بحال أبيهن ، وأخبرت بذلك أصحابه ، فأتوا الى قبره وبكوا وسألوا الله تعالى أن يغفر له ، فلما كان بعد أيام نمت بجانب قبره فرأيت

في هيئة حسنة ، وعلى رأسه تاج يخطف البصر ، وفي رجليه نعلان من ذهب ، وقال لى جزاك الله تعالى عنى خيرا حيث أعلمت بى بناتى وأصحابى حتى استغفروا لى ودعوا لى .

بحث فى قوله تعالى :

« وما تدري نفس باى أرض تموت إن الله عليم خبير » .

روى أن رجلا دخل على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، فقال : يا نبى الله ، أن لى حاجة بأرض الهند وأسألك أن تأمر الريح فتحملنى إليها هذه الساعة ، فرأى سليمان ملك الموت عنده وهو مبتسم ، فقال له مم تبسمك فقال تعجبا ، انى أمرت بقبض روح هذا الرجل فى بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك ، فروى أن الريح حملته الى الهند فى تلك الساعة فقبض بها والله أعلم .

روى الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا قضى الله للعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » .

وروى الديلمى مرفوعا « كل مولود ينثر عن سترته من تراب حفرته فاذا مات رد الى تربته » .

وروى الحكيم الترمذى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يطوف فى نواحي المدينة ، فاذا بقبر يحفر فأقبل

حتى وقف عليه فقال : لمن هذا القبر ؟ فقيل لرجل من الحبشة ،
فقال : لا اله الا الله ، سيق من أرضه حتى دفن في الأرض
التي خلق منها » .

وأخرج ابن ماجه مرفوعا « اذا كان أجل العبد بأرض
أوثقته الحاجة اليها ، حتى اذا بلغ أقصى أثره توفاه الله
بها ، فبعثه الله ، فتقول الأرض يوم القيامة يا رب هذا
ما استودعتنى » .

ومن هنا قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : يستحب
للعبد اذا سافر أن يخرج عن المظالم ويقضى جميع ديونه ،
ويوصى بماله وما عليه ، فانه لا يدري هل يرجع من تلك
السفرة أم لا ، وأنشد سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه
الله تعالى :

إذا ماضاق صدرك من بلاد

ترحل طالبا بلدا سواها

فانك واجد أرضا بأرض

ونفسك لم تجد نفسا سواها

مشيناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

ومن كانت منيته بأرض

فليس يموت فى أرض سواها

باب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر جدد السفينة فان البحر عميق ، واكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف الحمل فان العقبة كثود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير .

ما يصل المسلم بعد موته

هذا باب مهم لكل مسلم ليعلم فيه ماذا يصله بعد موته ، وهو رهن عمله في قبره ، وماذا عن هول المطلع عند سكرات الموت ، حتى يعد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا- كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » . « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما

الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » ، « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

اعلم يا أخا الاسلام أن التقوى هى السلاح الأقوى ، هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والتقوى هى خير زاد ، قال جل شأنه : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

تزود من حياتك للمعاد

وقم لله واجمع خير زاد

ولا تركن الى الدنيا كثيرا

فان المال يجمع للنفاد

اترضى أن تكون رفيق قوم

لهم زاد وانت بغير زاد

روى مسلم مرفوعا « يتبع الميت ثلاث ، يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه ، أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » .

وروى الحافظ أبو نعيم وغيره مرفوعا « سبع يجرى الله تعالى أجرهم للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علم علما ، أو

أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ،
أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » .

وروى الامام محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى فى سننه
مرفوعا « مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته : صدقة أخرجها
من ماله فى صحته » .

وقال بعض الصالحين ، مررت على مقبرة كبيرة فقرأت
القاتحة ، وقل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات ، ثم أهديتها
الى أموات المسلمين ، وقلت فى نفسى هل يصل الى كل واحد
منهم نصيب من ذلك ، فأخذت سنة من النوم ، فرأيت نورا
من السماء طبق على الأرض ، وتقطع منه على كل قبر شيء ،
وقائل يقول لى هذا ثواب قراعتك التى أهديتها لهم والحمد
لله رب العالمين ..

وقد ورد فى الحديث « لا تتمنوا الموت فان هول المطلع
شديد » ولما طعن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه —
قال له رجل : انى لأرجو أن لا تمس جلدك النار يا أمير
المؤمنين ، فنظر اليه عمر وقال : ان من غررتموه لمغرور ،
والله لو أن لى ما على الأرض جميعا لافتديت به من هول
المطلع ..

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : أضحكى ثلاث
وأبكاني ثلاث ، أضحكى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل
ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدري هل الله راض

عنه أم ساخط ، وأبكأتى فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه ، وهول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ، يوم تبدو السريرة علانية ، ثم لا يدري العبد هل يؤمر به الى الجنة أو النار .

وكان أنس بن مالك — رضى الله عنه — يقول : ألا أحدثكم بيومين وليتين لم يسمع الخلائق بمثلهن ، أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى أما برضاه أو بسخطه ، ويوم تقف فيه على ربك ، فيقال خذ كتابك أما بيمينك وأما بشمالك ، وليلة يدخل فيها الميت القبر ، وليلة صباحها يوم القيامة .

رؤى ابن ماجه أن عثمان رضى الله عنه كان اذا وقف على قبر يبكى حتى يبلى لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكى من هذا ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فان نجى منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه ، فما بعده شر منه ... »

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أظفع منه » .. (رواه الترمذى) .

وروى ابن ماجه عن أنس عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى . وقال يا اخوانى لمثل هذا فاعدوا .

وكان يزيد الرقاشي يقول : من مر على قبر ولم يعتبر به فهو من البهائم ، وكان اذا رأى قبراً صرخ كما يصرخ الثور .

وكره العلماء المباهاة في القبور والتفاخر في بنائها بالحجارة ، لأن ذلك من أفعال الجاهلية ، كانوا يفعلون ذلك تعظيماً لأمواتهم .

أحب الأناك للدفن

روى الترمذى وغيره بإسناد صحيح مرفوعاً « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن مات بها » .

وعهد سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد الى أصحابهما ، اذا هما ماتا ، أن يحملا من العقيق الى البقيع ، مقبرة المدينة فندفنا بها .

روى أبو سعيد المالىنى وأبو بكر الخرائطى عن على رضى الله عنه أنه قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فان الميت يتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء » .

وخرج أبو نعيم مرفوعاً « اذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه ، وعجلوا بانجساز وصيته ، وأعمقوا له فى قبره ، وجنبوه جارسوء . قالوا : يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة ؟ قال هل ينفع فى الدنيا ؟ قالوا نعم . قال كذلك ينفع فى الآخرة .

ماذا يقول لك القبر يا ابن آدم ؟

هذه القبور ظاهرها الأحجار والتراب وفي داخلها الثواب والعقاب .

أتيت القبور فناديتها	فأين المعظم والمحتقر
وإين المذل بسلطانه	وإين المزكى اذا ما افتخر
تساووا جميعا فما مخبر	وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى	فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا	أما لك فيما مضى معتبر

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مصلاه فرأى أناسا يكثرون الكلام فقال : أما انكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات — يعنى الموت — لشغلكم عما أرى منكم ، فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربية ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت العذاب ، أنا بيت الدود ، فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا ، أما انك كنت لأحب من يمشى على ظهري ، فاذا آويتك اليوم وصرت الى فسترى صنعى معك ، فيتسع له مد بصره . ويفتح له باب الى الجنة . واذا دفن العبد الكافر قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا ، أما انك كنت لأبغض من يمشى على ظهري ، فاذا آويتك اليوم وصرت الى ، فسترى صنعى بك ، قال فليتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه . وقال صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض

قال : ويقيض له تسعة وتسعون تنينا ، لو أن تنينا واحدا
نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فينهشه حتى
يفضى به الى الحساب .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « انما القبر روضة من
رياض الجنة او حفرة من حفر النار » .

وكان سفيان الثوري يقول : من اكثر من ذكر القبر ،
وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره ، وجده
حفرة من حفر النار .

وكان أحمد بن حنبل يقول : ان الأرض نتعجب ممن يمهّد
مضجعه للنوم وتقول : يا ابن آدم ، ألا تتفكر في طول رقائك
في جوف وما بينى وبينك غرائس .

وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ فقال النظر الى
الأموات .

وكان بعضهم اذا وجد في قلبه قساوة يذهب الى المقابر
فيرى الموتى وقد هجعوا ، وانقطع عملهم ، فيرجع وقد رق
قلبه .

وقد حكى الحسن البصرى — رضى الله عنه — أنه صلى
جنازة وحضر دفنها ، فلما دنوا به الى حفرتها ، نادى امرأة
بأعلى صوتها : يا اهل القبور لو عرفتم من نقل اليكم
لاكرمتوه وأعزتموه ، فسمع صوتا من الحفرة يقول :
أما والله لقد نقل الينا بأوزار كالجبال ، وقد أذن للأرض

أن تأكله حتى يصير ترابا كما كان ، ويقعده الملكان ويسألانه
عما بطشته اليدان ، ومشيت اليه القدمان ، ونطق به
اللسان ، وعملته الجوارح والأركان ، فخر الحسن مغشيا
عليه ، واضطرب الميت فوق النعش مما سمع .

تزود من الدنيا فانك راحل
وسارع الى الخيرات فيمن يسارع

فما المال والأهلون الا وديعة
ولا بد يوما أن ترد الودائع
ما ينفع الانسان في قبره
الا التقى والعمل الصالح

فاستعينوا رحمكم الله من عذاب القبر ، ولا تتمنوا منازل
الأبرار وأحدكم مقيم على الأوزار .

تزود من حياتك للمعاد
وقم لله واعمل خير زاد

ولا تطلب من الدنيا كثيرا
فان المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قبور
لهم زاد وأنت بغير زاد

ضغطة القبر :

أما ما جاء عن ضغطة القبر ، فقد روى الإمام النسائي — رضى الله عنه — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سعد بن معاذ : لقد تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفا من الملائكة ، ولقد ضمه ضمة ثم فرج عنه .

وفي رواية عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد ابن معاذ .

وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيع جنازة فاطمة بنت أسد ، وكان مرة يحمل ، ومرة يتأخر ، ومرة يتقدم ، ثم نزل قبرها ، ونزع قميصه صلى الله عليه وسلم وتمعك في لحدها ، ثم خرج ، فسأله عن قميصه وتمعكه في لحدها ، فقال : أردت أن لا تمسها النار أبدا إن شاء الله ، وأن يوسع عليها قبرها .

وقال ما عفى أحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت أسد ، فقيل يا رسول الله : ولا ابنك القاسم قال . ولا إبراهيم الذى هو الأصغر منهما .

وكان يزيد بن عبد الله — رضى الله عنه — يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذى يموت فيه ، لم يضق عليه قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها

حتى تجيزه على الصراط الى الجنة ، وفي رواية : من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في مرضه (الحديث) . ومما يجب التنبيه عنه ان الميت يتأذى من قول الأحياء عليه : واسيداه ! واجملاه ! واسبعاه ! وان الملائكة تؤنبه على ذلك ، فيجب الحذر من ترديد هذه الكلمات . فقد روى أن العبد اذا وضع في قبره فقال أهله : واسيداه والاميراه واشريفاه ، قال له الملك : أسمع ما يقولون ، اكننت أميرا ، اكننت شريفا ، فيقول الميت : ليتهم سكتوا عني ، قال فيضغط ضغطة فتختلف فيها أضلاعه .

تعذيب الميت ببكاء أهله عليه :

أما ما جاء من تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ، فقد قال العلماء لا يعذب الميت ببكاء أهله عليه الا ان أوصاهم او رضى بذلك .

وقال بعضهم يعذب ببكاء أهله عليه وان لم يوصى به لحديث « ان الميت ليعذب ببكاء الحى عليه . اذا قالت النائحة واعضداه ! واناصراه ! واكاسياه ! . جئى جذب الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ وفي رواية : أن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الميت ليعذب ببكاء الحى عليه ، فقال رجل يموت بخراسان ويناح عليه هاهنا كيف يعذب ؟ فقال عمران : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت . نسأل الله من فضله أن يحفظنا من عذاب القبر آمين .

والأمر الذى تستريح اليه النفس فى هذه المسألة ، ان بكاء الحى على الميت يؤلمه ويحزنه ، ومن ثم فان عذاب الميت ببكاء الحى عذاب نفسى ، فكما أن الانسان يألم فى الدنيا اذا سمع ابنه أو أخاه يبكى ، فانه كذلك يألم بعد الموت ، وكان الميت لو استطاع أن يتكلم لقال لهم : كيف تبكون على وقد انتقلت من جوار الخلق الى رحاب الحق ، بل كيف تبكون على وقد انتقلت من دار الباطل الى دار الخلود ، بل كيف تبكون وقد انتقلت من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، ومن دار الفناء الى دار البقاء . ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربه وجعلنى من المكرمين .

لما حضرت بلال بن رباح الوفاة ، كانت زوجته تبكى وتنوح وتقول ، وامصصيتها ! ففتح بلال عينيه وقال : بل قولى وافرحته ، غدالقى الأحبة محمدا وصحبه .

ولما حضرت أبا موسى الأشعرى الوفاة ، صاحبت زوجته عليه ، ففتح أبو موسى عينيه وقال لها : انى أبرأ مما برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد برىء من الحالقة والسالقة والشاقة . والخالقة هى المرأة التى تقطع شعرها على ميتها ، والسالقة هى التى ترفع صوتها بالنياحة على الميت ، والشاقة هى التى تشق ثوبها على ميتها .

(اعلّموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور) .

اعلم يا ابن آدم أن القبر ينادى عليك كل يوم ويقول لك :
 أنا بيت الدود ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت
 الغربة ، أنا بيت الضيق إلا من وسعني الله عليه . فأعد
 الزاد لليلة صباحها يوم القيامة .

ما يقال عند وضع الميت في القبر :

أما ما جاء عما يقال عند وضع الميت في قبره أو لحدده ،
 فقد روى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه قال : اللحد لنا والشق لأعدائنا .

قال أحد الحكماء :

ضعوا خدى على لحدى ضعه
 ومن غفر التراب فوسـدوه
 وشـقوا عنه أكفـانا رقاـقا
 وفي الرمس البعـيد فـغـيبـوه
 فلو أبصرتموه إذا تقضت
 صبيحة ثالث لتركتموه
 وقد سالت نواظر مقلتيه
 على وجناته وانفض فـوه
 وناداه العلى إذا فلان
 هلموا فانظروا هل تعـرفـوه
 حبيبكم وجـاركـم المـفـدى
 تقادم عهده فنسـيتموه

قال العلماء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اذا أخذوا في تسوية اللحد على الميت : اللهم أجره من الشيطان ومن عذاب القبر ، وثبت عند المسألة منطقه ، وافتح أبواب السماء لروحه .

الوقوف على القبر بعد الدفن :

وأما ما جاء عن الوقوف عند القبر قليلا بعد دفن الميت والدعاء له بالتثبيت ، فقد روى مسلم أن عمرو بن العاص — رضى الله عنه — لما حضرته الوفاة قال : اذا دفنتمونى فشنوا على التراب ثنا ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر الجزور — أى من الابل — ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وتظنروا ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل .

قال الحافظ أبو نعيم رحمه الله : ويكون الدعاء للميت بعد الدفن بالتثبيت والانسان مستقبل وجه الميت ، ويقول الداعى « اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم به الا خيرا ، وقد اجلسته لتسأله ، فنسألك اللهم أن تثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبتته فى الدنيا ، اللهم ارحمه والحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ، ولا تحرمنا أجره .

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى : وإنما استحبوا الوقوف للدعاء للميت بعد الدفن مع أنهم دعوا له فى الصلاة عليه بجماعة المسلمين ، لأن الصلاة عليه كوقوف العسكر بباب الملك فيشفعون له . وأما الوقوف على القبر لسؤال التثبيت

فهو ثمرة دعاء العسكر في الصلاة عليه ، وهى ساعة يشتغل فيها الميت بهول المطلق وسؤال الملكين . فوقفوا على قبره حتى ينظروا هل قبلت شفاعتهم فيه ، وأجاب الملكين على الصواب أم لا .

ما يجب على أهل الميت :

أما أهل الميت فيجب عليهم الاشتغال بحال ميتهم ، وذلك بالدعاء له والاستغفار وسؤال التثبيت عند سؤال الملكين ، ولا يجمل بهم أن يشتغلوا عن ذلك بالصياح عليه والنياحة وشق الجيوب ، والامتناع عن الطعام ، فكل ذلك دليل على ضعف الايمان وخفة العقل ، قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » .

وقال جل شأنه : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات أحدكم وسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول : يا فلان يا ابن فلان ، فانه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يا فلان يا بن فلانة الثانية ، فانه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يا فلان يا ابن فلانة الثالثة فانه يقول نعم ، أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا وهى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول

الله ، وأنت رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وبالقرآن أمماً ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، فإن منكرنا ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ما قمعدنا عند هذا وقد لقن حجتة ، ويكون الله تعالى حجبهما دونه ، فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف أمه ، قال ينسب لأمه حواء .

وكان شيبية بن أبى شيبية يقول : أوصتني أمي عند موتها أن أقوم عند قبرها بعد دفنها وأقول : يا أم شيبية قولي لا اله الا الله ، ثم انصرف ، فلما كان الليل رأيته في المنام وهي تقول : يا بنى كدت أهلك لولا تداركتني بلا اله الا الله . فإذا حضر أحدكم أيها الإخوان دفن أخيه المسلم فليقل له بعد تسوية التراب عليه : يا فلان ابن فلانة ، قل لا اله الا الله محمد رسول الله ، أو ليقل : قل الله ربي والإسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولي ، ولا يتعلل أحدكم بقوله : لا أعرف القن الميت فإن هذه ثلاث كلمات يسهل حفظها .

وقد روى مرفوعاً أن الله تعالى قد وكل بمن يتبع الجنازة من أهل الميت ملكاً إذا رجعوا من دفنها وخف همهم وحزنهم بميتهم أن يأخذ كفاً من تراب ويرمى به في وجوههم ويقول لهم : ارجعوا أنساكم الله موتاكم فينسسون ميتهم يأخذون في أكلهم وشربهم وضحكهم وبيعهم وشرائهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم .

وكان مطرف بن عبد الله رضى الله عنه يقول : لو علمت وقت أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ، ولكن الله تعالى يمين على عباده بالغفلة عن الموت فى بعض الأوقات ليهنئوا بالعيش ، ولولا ذلك ما تهنئوا به ولا قامت بينهم أسواقهم .

فالله يجعلنا من الذين يذكرون الموت ولا يلهيهم ذلك عن أعمال آخرتهم .

وروى عن عطاء الخرساني رضى الله عنه أنه كان يقول : أرحم ما يكون الرب جل وعلا بعبده إذا دخل فى قبره وتفرق عنه أهله وجيرانه ومعارفه ، وكان لأبى أمامة الباهلى جار بالشام وله ابن أخ مسرف على نفسه فحضرته الوفاة ، فصار عمه يقول له : يا ولدى أما نهيتك عن كذا وكذا فلم تسمع نصحى ، فقال له يا عم لو أن الله دفعنى الى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ فقال تدخلك الجنة ، فقال : الله تعالى أرحم بى من أمى .

فلما قبض ودفن نزل عمه فى قبره ثم صاح وفزع ، فقيل له مالك صحت وفزعت ، فقال رأيت القبر قد اتسع وامتسأ نورا ، وكان من دعاء أبى سليمان الداراني رحمه الله تعالى : اللهم آنس فى القبر وحدتى وغربتى .

روى أبو نعيم عن جابر رضى الله عنه مرفوعا « ان ابن آدم لفى غفلة عما خلقه الله له ، ان الله تعالى اذا أراد خلق عبد قال للملك ، أكتب رزقه وأثره وأجله ، وشقى أو سعيد ، ثم يرتفع ذلك الملك فيبعث الله اليه ملكا آخر

فيحفظه حتى يدرك ، ثم يبعث الله اليه ملكين كاتبين يكتبان حسناته وسيئاته ، حتى اذا جاء ملك الموت ليقبض روحه كان معه حتى يدخل حفرة وترد الروح الى جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان ، فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات وصار ما كتباه كتابا معقودا في عنقه ، ثم حضر معه واحد سائق والآخر شهيد ، فذلك قوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى : « لتركبن طبقا عن طبق » خلا بعد حال ، ثم قال صلى الله عليه وسلم « ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم فيه » .

قال الامام القرطبي رضى الله عنه : وجدنا على قبر الامير ابي عامر بن شهيد مكتوبا — وقد دفن بجانب قبر صاحبه الوزير ابي مروان في البستان الذي كانا يجتمعان فيه للتنزه :

يا صاحبي قم فقد اطلنا	انحن طول المدى هجود
فقال لى لن نقوم منها	ما دام من فوقنا الصعيد
تذكرنى ليلة نعمنا	في ظلها والزمان عيد
كل زمان لنا تقضى	وشؤمه حاضر عتيد
يا رب غفرا غانت مولى	قصر في حقه العبيد

أول ما يلقي الميت اذا دخل قبره :

وروى البخارى عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا فى الجنة ، فإمراهما جميعا . قال : وأما المنافق أو الكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ، فيقول : لا ادرى كنت أقول مثل ما يقول الناس ، فيقال له لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطراق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين »

وذكر الغزالي رحمه الله أن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — كان يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أول ما يلقي الميت اذا دخل قبره ؟ فقال « يا ابن مسعود ما سألنى عن ذلك أحد قبلك ، أول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر ، فيقول يا عبد الله اكتب عملك ، فيقول ليس معى دواة ولا قرطاس ، فيقول هيهات : كفئك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك ، فيقطع له قطعة من كفنه ، ثم يجعل العبد يكتب ، وان كان غير كاتب فى دار الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويعلقها فى عنقه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » أى عمله ، فاذا فزع من ذلك دخل عليه فتانا القبر ، وهما

ملكان أسودان يخرقان الأرض بأثنيابهما ، لهما شعور
مسدولة يجرانها على الأرض ، صوتهما كالرعد القاصف
وأعينهما كالبرق الخاطف ، ونفسهما كالريح العاصف ، بيد
كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع الثقلان ما رفعاه ،
لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا ، فإذا أبصرتهما النفس
ارتعدت وولت هاربة فتدخل في منخر الميت ، فيحيا الميت
من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ، ولا يقدر على حراك ،
غير أنه يسمع وينظر ، فيبتدئانه بعنف وينتهرانه بجفاء ، قد
صار التراب له كالماء حينما تحرك انفسح ووجد فيه فرجة ،
فيقولان له من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ، وما قبلك ؟
فمن وفقه الله تعالى وثبته بالقول الثابت قال : فمن دلكما
على ومن أرسلكما الى ، وهذا لا يقوله الا العلماء الأخيار ،
فيقول أحدهما للآخر صدق وكفى شرنا ، ثم يضربان على القبر
كالقبة العظيمة ويفتحان له بابين الى الجنة من تلقاء يمينه ،
ثم يفرشان له من حريرها ، ويدخل عليه نسيهما وريحها
وريحانها ، ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص اليه
فيؤنسه ويحدثه ، ويملا قبره نورا ، ولا يزال في فرح
وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة ، ويسأل متى تقوم
الساعة فليس شيء أحب اليه من قيامها . قال : وان كان
الميت قليل العلم والعمل دخل عليه عمله الصالح القليل بعد
رومان في أحسن صورة وأطيب ريح وأحسن ثياب على شاكلة
عمله الصالح القليل ، فيقول له أما تعرفنى ، فيقول من
أنت الذى من الله عز وجل على بك ؟ فيقول : أنا عمك
الصالح ، لا تحزن ولا توجل ، فعمما قليل يدخل عليك منكر

ونكير ويسألانك فلا تدهش ثم يلقنه حجته ، فبينما هو كذلك
 اذ دخلا عليه فينهرانه ويقعدانه مستندا فيقولان من ربك ؟
 فيسبق الأول . فيقول : الله ربى ومحمد صلى الله عليه وسلم
 نبى ، والقرآن امامى ، والكعبة قبلتى ، وابراهيم الخليل
 أبى ، وولته ملتى ، غير مستعجم فيقولان له : صدقت .
 وان ارتاب ولم يقل ربى الله ، ولا محمد صلى الله عليه
 وسلم نبى ، ولا ملة ابراهيم ملتى ، قالوا له : كذبت .
 ويفتحان له بابا الى النار فينظر الى جميع سلاسلها وحياتها
 وعقاربها وأغلالها وجميع ما فيها من صديد وزقوم ، فيفزع
 لذلك أشد الفزع ثم يقولان له : انظر الى مكائك من الجنة
 ابدلك الله مكانه موضعا من النار ، ثم يغلقون عليه باب
 النار .

قال الامام القرطبى رحمه الله : ومن الناس من يتلجلج
 فى مسأله اذا كانت عقيدته فى الله مخالفة ، فلا يقدر على
 النطق بقوله الله ربى ، ويأخذ فى غيرها من الألفاظ فيضربانه
 ضربة يشتعل عليه بها قبره نارا ، ثم تطفأ عنه أياما ثم
 تشتعل أياما ، هذا دأبه ما بقيت الدنيا . ومن الناس
 من يعسر عليه النطق بقوله : والاسلام دينى لشك كان عنده
 أو فتنة حصلت له عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل
 عليه قبره نارا كالأول ، ومن الناس من يعسر عليه النطق
 بقوله : والقرآن امامى لأنه كان يتلوه ولا يتعظ به ، ولا يأمر
 بأوامره ولا ينتهى بنواهيه ، فيفعل به ما يفعل بالاولين ،
 ومن الناس من يستحيل عمله جروا يعذب به فى قبره على
 قدر جرمه ، ومن الناس من يستحيل عمله خنزيرا أى جرو

خنزير ، ومن الناس من يعسر عليه أن يقول نبى محمد لأنه كان ناسيا للسنة ، ومن الناس من يعسر عليه أن يقول : الكعبة قبلت لقله تحريه في الاجتهاد فيها للصلاة ، أو فساد في وضوئه ، أو التفات في صلاته ، أو نقص في ركوعه وسجوده ونحو ذلك ، ومن الناس من يعسر عليه النطق بقوله : و ابراهيم الخليل أبى لأنه سمع من بعض الكفار أن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فتوهم ذلك ونسى قول الله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، فيفعل به كما فعل بالأولين من ضربه ضربة يشتعل بها قبره عليه نارا ، وأما الفاجر فيقولون له من ربك ، فيقول : لا أدري ، فيقولان له لا دريت ولا عرفت ، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتجلجل في الأرض ، ثم تنفضه الأرض في قبره ، ثم يضربانه سبع مرات . قال ويختلف الناس في السؤال : فمنهم من يسأل عن بعض الأمور ومنهم من يسأل عن بعض آخر ، كما تختلف الأحوال على الناس في العذاب فمنهم من يستحيل عمله كلبا ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل عمله خنزيرا يعذب به ، وهم المرتابون ، قال الفلماء : وأصل ذلك أن كل انسان يعذب في قبره بما كان يخافه في دار الدنيا ، فمن الناس من كان يخاف من الجرو ، ومنهم من كان يخاف من الأسد .

وروى الامام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا الى القبر ولمسا

يلحد ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع بصره وينظر الى السماء ويخفض بصره وينظر الى القبر ، ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر ، قالها مرارا ، ثم قال : ان العبد المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة وانقطع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول : اخرجي أيتها النفس المطمئنة الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء ، ثم ينزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منها مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة ، قال فذلك قوله تعالى : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » .

قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض الا قالوا ما هذه الروح ؟ فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به الى ابواب السماء الدنيا فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها ، حتى ينتهى الى السماء السابقة فيقال اكتبوا له كتابه في عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ، فيكتب كتابه في عليين ثم يقال ردوه الى الأرض فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى ، قال : فبرد الى الأرض وتعاد روحه فيأتيها ملكان شديدا الانتهاز فينهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك ؟ فيقول ربى الله ودينى الاسلام ، فيقولون ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول هو رسول الله ، فيقولون له ما يدريك فيقول جاعنا

بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت ، قال وذلك قوله تعالى :
 « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
 الآخرة » قال فينادى مناد من السماء صدق عبدى فألبسوه
 من الجنة وأروه منزله منها ، فيفسخ له مر البصر . ثم قال
 ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح
 حسن الثياب فيقول له : أبشر بما أعد الله ، أبشر برضوان
 الله وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول بشرك الله بخير ، من أنت
 فوجهك الذى جاء بالخير فيقول هذا يومك الذى كنت توعده ،
 أنا عمك الصالح فوالله ما علمتك الا كنت سريعا فى طاعتك
 لله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ، فيقول يا رب اقم
 الساعة كى أرجع الى أهلى ومالى ، قال : فان كان فاجرا
 فى قبل من الدنيا وانقطع عن الآخرة جاءه ملك فجلس عند
 رأسه فقال : أخرجى أيتها النفس الخبيثة ، أخرجى بسخط
 الله وغضبه فيتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسح من النار
 فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين ، فتفرق
 فى جسده فيستخرجها وقد تقطع منها العروق والعصب
 كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبلول فتؤخذ من الملك
 فتخرج كائتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء
 والأرض الا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون هذه
 روح فلان بأسوا أسمائه حتى ينتهوا به الى سماء الدنيا
 فلا تفتح لها ، فيقولون ردوها الى الأرض انى وعدتهم انى منها
 خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى . قال فيرمى
 به من السماء ، وتلا هذه الآية « ومن يشرك بالله فكأنما
 خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان

سحيق » ، قال فيعاد الى الأرض فتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان تشديدا الانتهاز فينهرانه ويجلسانه فيقولان له من ربك وما دينك ؟ فيقول لا أدري ، فيقولان ما تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم ، فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك فقلت ، قال فيقال له لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول من أنت ؟ فوجهك الذى جاء بالشر فيقول انا عمك الخبيث فوالله ما علمتك الا كنت بطيئا عن طاعة الله سريعا الى معصية الله ، قال فيقيض الله له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا ، فيضربه ضربة يسمعها الخلائق الا الثقلين . ثم تعاد روحه فيضرب ضربة أخرى . وزاد في رواية أبى داود الطيالسى : ثم يقال أمرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار .

وقد أجمع أهل الكشف عن أن الميت يحس بضغطة القبر ويحس باختلاف أضلاعه ولو كان في بطون السباع والطيور ، أو كان قد حرق وذرى في الريح فتحس كل ذرة بالآلم ولو كانت متفرقة .

روى عن أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما أنهما كانا يقولان في قوله تعالى : « فان له معيشة ضنكا » هو عذاب القبر .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كان الناس في شك من عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة (الهكم

التكاثر حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) « فتعلمون » الأول اشارة الى عذاب القبر « وتعلمون » الثانى اشارة الى عذاب الآخرة .

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون فيمن نزلت هذه الآية (فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال عذاب الكافر في القبر ، والذي نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعين تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رعوس تنفخ في جسمه وتخدشه الى يوم القيامة ، ويجشر من قبره الى الموقف أعمى .

وروى الحافظ الوائلى رحمه الله عن ابن عمر قال بينا نحن نسير بجبانات بدر اذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال يا عبد الله اسقنى . فقال ابن عمر لا أدري أعرف اسمى أو كما يقول الانسان لأخيه يا عبد الله ، فقال لى الأسود لا تسقه فانه كافر ، ثم اجتذبه فدخل الأرض . قال ابن عمر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « أو قد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل ابن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة » .

قال العلماء وتختلف أحوال العصاة في العذاب باختلاف معاصيهم ، كثرة وقلة وكبر وصغرا .

وروى ابن أبى شيبة مرفوعا « أكثر عذاب القبر من البول » . وروى الشيخان أن النبى صلى الله عليه وسلم

مر على قبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير ، أما احدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول » .

قال العلماء في هذا الحديث دليل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، لا يعذب الانسان الا على ترك الواجب ، وكذلك ازالة جميع النجاسات قياسا على البول .

وكان الامام مالك رضى الله عنه يقول : « من صلى ولم يستبرئ من البول فقد صلى بغير طهور » .

وروى البيهقي وغيره في حديث الاسراء أنه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسرى به على قوم ترضخ رعوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم شيء من ذلك ، فقال يا جبريل . من هؤلاء فقال الذين تتثاقل رعوسهم عن الصلاة . ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام في الضريع والزقوم ، ورضف جهنم يعنى الحجارة المحماة فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما الله بظلام للعبيد ، ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم بين أيديهم اللحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال هم الذين يزنون وعندهم النسباء الحلائل الطبيات فيأتى أحدهم المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح . ثم مر صلى الله عليه وسلم على

قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء فقال : خطباء الفتنة : ثم أتى صلى الله عليه وسلم على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث يخرج فلا يستطيع ، فقال يا جبريل من هذا ؟ فقال : الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردّها فلا يستطيع ، ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم بطونهم كأمثال البيوت كلما نهض أحدهم يقوم خر على وجهه والناس يطئونهم وهم يضجون الى الله عز وجل ، قال يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال هم الذين يأكلون الربا من أمّتك لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم مشافرههم كمشافر الابل فتفتح أفواههم ويلقّمون الجمر ثم تخرج من أسافلهم وهم يضجون الى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال هؤلاء من أمّتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيراً .

ثم مر على نساء معلقات بثديهن وهن يصحن الى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزناة من أمّتك . ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقّمونه فيقال لأحدهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الهمازون من أمّتك الهمازون . وفى رواية لأبى داود ثم مر : يعنى صلى الله عليه وسلم على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوحى الى أنكم تفتنون في القبرور ، فيؤتى أحدكم في قبره فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات ، فيقال له : قد علمنا أنك تؤمن به فثم صالحا ، وأما المنافق أو قال المرتاب فيقول لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلت » رواه مسلم .

روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو في حائط لبنى النجار على بغلته ونجن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا قبور فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل أنا ، فقال فمتى مات هؤلاء ؟ فقالوا ماتوا في الاشرار فقال صلى الله عليه وسلم ان هذه الأمة تبلى في قبورها فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع » .

وكان بعض العارفين يقول : لا يسمع عذاب الموتى الا من اتصف بكتمان الأسرار كالبهائم فانها ليست من عالم التعبير عما ترى . أما من يخبر الناس بما رأى فلا يسمع شيئا من ذلك فما كتم الله تعالى ذلك عن الانس والجن الا لحكمة الهية ، كما أشار اليه الحديث لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر ، ومن يطيق سماع عذاب الله في القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا ، وقد بلغنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة وهى دون صيحة الملك على الميت بيقين .

وفي الحديث « لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات » وأما سماع الميت ما يقال فقد روى مسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قتلى بدر من المشركين . فقال : يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان : هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا ؟ فأنى وجدت ما وعدنى ربي حقا : يعنى من معرفة مصارعهم ، فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها . قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليكم شيئا ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر . »

وفي حديث مرفوعا « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى دار الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام . »

قال الامام القرطبى رحمه الله . وأما قوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) وقوله (وما أنت بمسمع من فى القبور) فمحمول على أن ذلك فى بعض الاوقات دون بعض ، وقال بعضهم فى بعض الأشخاص دون بعض جمعا بين الآيات والأخبار .

فمنها الرباط فى سبيل الله عز وجل روى مسلم مرفوعا « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه . »

وان مات أجرى عليه عمله وأمن من الفتانات . ومنها قراءة سورة تبارك الذى بيده الملك كل ليلة صبح ذلك فى عدة أحاديث ، وكذلك قراءة قل هو الله أحد فى مرض الموت

وقد تقدم ذلك بدليله . ومنها من مات ببطنه لحديث أبى داود مرفوعا « من قتله بطنه لم يعذب في قبره » ومنها الموت يوم الجمعة أو ليلتها لحديث الترمذى مرفوعا « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر » .

ومنها الموت في معركة الكفار لحديث ابن أبى شيبة وغيره مرفوعا « كل مؤمن يفتن في قبره الا الشهيد يعنى المقتول في سبيل الله » . وروى النسائى وابن ماجه مرفوعا « للشهيد عند الله ست خصال فذكر منها ويجار من عذاب القبر » . والحق بالشهيد في الاجر والثواب المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم ، وذات الجنب والطلق والحريق ، ومن قتل دون ماله ، أو دون دمه أو دون حريمه ، وغير ذلك مما وردت به الاخبار .

روى مسلم وابن ماجه مرفوعا « ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة » .

وفى رواية « منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة » أى أول ما خلق من الانسان هذا العظم ثم ان الله تعالى يبقيه الى أن يركب الخلق منه تارة أخرى وقد قيل « يا رسول الله ما هو ؟ فقال : مثل حبة خردل ومنه ينبتون » الحديث . قال العلماء وانما لم تأكل الأرض اجسادا الشهداء لكونهم احياء عند ربهم يرزقون كما صرح به القرآن .

وثبت في الصحيح أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين دفنا في قبر واحد يوم أحد فحسر السيل عن قبرهما فحفروا عليهما لينتقلا الى مكان آخر ، فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع الى ما كانت ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد .

قال الامام القرطبي : ولا فرق في عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الأمم السالفة الذين جاهدوا مع أنبيائهم وماتوا في القتال ، بدليل ما صح في الترمذي في قصة أصحاب الأخدود أن الغلام الذي قتله الملك ودفن وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وكان أصحاب الأخدود بنجران في أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم .

وروى مرفوعا « المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه وإن مات لم يدد في قبره » أى لم يدود .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكثروا على من الصلاة في يوم الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة على ، فقالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت : أى بليت ؟ فقال ان الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

ففى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى في قبره يرزق .

روى مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عراوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى أن أحدكم لو دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفها ، ولا ينكرون منكرا ، فيمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبيون ؟ فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتا ورفع ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله ، قال فيصعق ويصعق الناس ثم ينزل الله تعالى ، أو قال يرسل الله تعالى مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقفوهم انهم مسئولون) ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك — يوم يجعل الولدان شيبا وذلك — يوم يكشف عن ساق » وفي رواية فذكر الحديث إلى أن قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس شيء من الإنسان إلا ويبلى إلا عظاما واحدا لا تأكله الأرض أبدا » .

وروى مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت ، قالوا أربعين شهرا ، قال أبيت ، قالوا أربعين عاما ، قال أبيت » .

وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاما والله علم .

فضل عن نعيم المقبر

قبل أن نتكلم عن قيام الساعة وننتقل من عالم البرزخ الى ساحات القيامة ، يجمل بنا أن نسجل هنا نبذة عن نعيم المقبر وأنه على مراتب متعددة ، عسى الله جل جلاله أن يجعل نعيمنا في قبورنا وبعد بعثنا ، فاللهم آتس وحشتنا في القبور ، وأرحم غربتنا فيها ، وتقبل أعمالنا .

يقول الأستاذ عبد الله سراج الدين في كتابه « الايمان بعوالم الآخرة » .

ينعم أهل الايمان في قبورهم على حسب اختلاف مراتبهم في ايمانهم قال الله تعالى (فأما ان كان (أى المحتضر) من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) .

وقد روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالفداء والعشى ، ان كان من أهل

الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

فجميع المؤمنين في قبورهم تعرض عليهم مقاعدهم في الجنة غدوة وعشيا ، وبذلك العرض تهب عليهم النفحات الرحمانية وتعقبهم الرياحين الجنانية فهم ينعمون بذلك وقد استراحوا من نصب الدنيا ومتاعبها وكرباتها وأحزانها .

كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي قتادة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مستريح ومستراح منه » قالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه ؟ قال : « العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها الى رحمة الله تعالى ، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » .

وهناك من يعطى فوق ذلك وأعظم من ذلك كما جاء في الحديث الذى رواه الامام أحمد عن الامام الشافعى عن الامام مالك عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه » .

قال الحافظ بن كثير بعد ما أورد الحديث : ففيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا ، أى أن عموم المؤمنين الكمل لهم نعيم التجول فى ظلال أشجار الجنة . قال الامام الغزالى رضى الله عنه : وأعلم أن المؤمن ينكشف له عقب الموت من سعة جلال الله

تعالى ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بسنتان واسع الأكناف لا يبلغ طرفيه أقصاه ، فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور ، فلا يشتهي العود الى السجن المظلم .

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له مثلا فقال لرجل مات « أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قد رضى — بأن كان كامل الايمان — فلا يسره أن يرجع الى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع الى بطن أمه » .

فنعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم .

وهناك الذين أعطوا أفضل من ذلك وفوق ذلك وهم الشهداء في سبيل الله جل شأنه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله هم أحياء عند ربهم اى مستمررون على الحياة يترمّون فيها وأكد اثبات الحياة لهم على وجه الحقيقة الكاملة بقوله سبحانه « يرزقون » فالشهداء أحياء على الحقيقة بحياة أقوى من حياتهم الدنيا .

قال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا بل
أحياء ولكن لا تشعرون) .

أى ولكن لا تدركون ولا تحسون حياتهم وحالهم لأنهم في
برزخ محبوبون عنكم لا يطلع عليهم إلا من أطلعه الله تعالى
كالرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أولياء أمته .

وروى أبو داود والامام أحمد وغيرهما عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« لما أصيب اخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في جوف
طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوى الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب
مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أننا أحياء
في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا (أى لا يخائفوا
ولا يجبنوا) عند الحرب ! فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم .
قال فأنزل الله عز وجهه : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتا ... » الى آخر الآيات .

وهذا الحديث له أصل في صحيح مسلم .

وروى الامام أحمد في سنده عن عائشة رضي الله عنها
قالت : كنت ادخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأضع ثوبى — أى بعض ثيابى — وأقول انما هو
زوجى وأبى ، قالت فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته —
أى البيت — الا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر .

أى لأنه أجنبى عنها وهو شهيد حى فكانت تحتجب منه .
قال العلماء وهذا يدل على فقاهاة السيدة عائشة رضى
الله عنها وورعها ورعايتها لأحكام الحياة البرزخية .
وهناك مقام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين ، فانهم فى المقام الاسمى والملا الأعلى فانهم أقوى
حياة وأعظم نعيما .

روى البيهقى وأبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » .

فالأنبياء لهم أكمل كمال الحياة ، وأكمل كمال النعيم وأمامهم
وخطيبهم وصاحب شفاعتهم سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم صاحب مقام الوسيلة والفضيلة ، هو أعلاهم منزلة
وأرفعهم درجة ، وأفضلهم رتبة ، وأكرمهم نعيما ، صلى الله
عليه وسلم كلما ذكره المذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

هل ينتفع الأموات بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي يهديها اليهم الأحياء ؟

يجيب على هذا السؤال الأستاذ عبد الله سراج الدين فى
كتابه « الايمان بعوالم الآخرة ومواقفها » فيقول :

ان ثواب الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي يهديها
أحياء الدنيا لأهل البرزخ هى واصله اليهم لا محالة وهى
تنفعهم ، دل على ذلك الكتاب والسنة :

قال تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) .

فلقد مدح الله تعالى الذين استغفروا للمؤمنين قبلهم فدل ذلك على أنه مقبول عند الله تعالى وهو ينفع الأموات قبلهم . وقد أمر الشارع بالصلاة على الميت والدعاء له ، وما ذلك إلا لأنه ينفعه ويزيد في ثوابه .

روى أصحاب السنن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء » .

كما أمر الشارع بالدعاء للأموات عند زيارة قبورهم .

روى مسلم في صحيحه عن بريدة بن الحصيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا :

السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية ..

وقال تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان احققنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) .

ففى هذه دلالة صريحة على أن الله تعالى ينفع الأبناء بعمل الآباء فيلحق الأبناء المقصرين بآبائهم المقربين تكملة

لايمانهم وصلاتهم من غير أن ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئاً .

وروى الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب انى لى هذا ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » .

كما أن ثواب الصدقات من الأحياء يصل إلى الأموات ، جاء في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى افلتت نفسها (أى اخذت بغتة) ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر ان تصدقت عنها ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : نعم .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ابنها مات ولم يحج قال : حجى عن ابنك .

وكل عمل صالح يوهب ثوابه للأموات يصل إليهم ، ومن ذلك اهداء ثواب القراءات للأموات فانه يصل إليهم ، جاء في الحديث عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قلب القرآن يس : لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر الله له ، اقرأوها على موتاكم » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا مات أحدكم فلا تدبسه وأسرعوا به الى قبره ، وليقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة البقرة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، والهاكم التكاثر ، ثم قال : انى جعلت ثواب ما قرأت لأهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له الى الله تعالى » .

وفى المرقاة أخرج أبو محمد السمرقندى فى فضائل قل هو الله أحد عن عامر مرفوعا « من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ، ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات » .

وفى أذكار النووى قال : ويستحب للزائر الاكثار من قراءة القرآن والذكر والدعاء لأهل تلك المقبرة وسائر الموتى والمسلمين أجمعين .

وروى الطبرانى بإسناد جيد عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » .

وروى الطبرانى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يكن عنده مال يتصدق فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات فأنها صدقة » .

وروى أبو داود وغيره عن أبي أسيد رضى الله عنه قال
بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاء رجل فقال : يا رسول الله هل بقى من بر أبوى بشيء
أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم .. الصلاة عليهما
والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم
التي لا توصل الا بهما ، وإكرام صديقهما » .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ،
أو ولد صالح يدعوه له » .

فان هذه الأمور تنفعه بعد موته لأنه تسبب اليها وان
كان هو لم يباشرها بنفسه .

وفى سنن ابن ماجه باسناد حسن عن أبى هريرة رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مما
يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ،
أو ولدا صالحا تركه ، أو مصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه ،
أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أكراه ، وفى رواية : أجره ،
أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد
موته » .

وفى صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سن فى الاسلام
سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير

أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن
ينقص من أوزارهم شيء . »

فمن آمن بما أمر الله تعالى به وانتظم في سلك المؤمنين
كان ذلك منه سببا في نيل حظه من استغفار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث يقول سبحانه وتعالى : « فاعلم
انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات .. »
الآية : ..

ومن استغفار سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام
حيث يقول الله تعالى مخبرا عنه : « رب اغفر لى ولوالدى
ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين
آلا تبارا » .

وأن ينال حظه من استغفار الخليل سيدنا ابراهيم عليه
السلام حيث يقول سبحانه وتعالى : « ربنا اغفر لى
ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

وأن ينال حظه من دعوات المؤمنين واستغفارهم حيث
يقول الله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .. » الآية .

وأن ينال حظه من دعاء حملة العرش واستغفارهم حيث
يقول مولانا تبارك وتعالى : « الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين

آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات
عدن التي وعدتهم .. » الآية .

وأن ينال حظه من صلوات المؤمنين عليه بعد موته
ودعائهم له وترحمهم عليه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم
كما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وهكذا من جلس الى الصالحين وكان مع الصادقين كان
ذلك سببا في أن يناله من الخير والنور والبركة النازلة
عليهم ، كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

جعلنا الله تعالى وأحبابنا في زمرة عباده الصالحين ،
وحفنا بأتوار سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

فائدة :

من أفضل الأشياء التي تعرض على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أمته وهو في قبره ، الصلاة والسلام
عليه .

روى ابن ماجه باسناد جيد عن أبي الدرداء — رضي الله
عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أكثروا على من الصلاة كل يوم جمعة فإنه مشهود تشهد

الملائكة ، وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .

قال : قلت وبعد الموت ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء » .

قال الحافظ المنذرى رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على بلغتنى صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات » .

هل تعرض أعمال الأحياء

على أقربائهم الأموات في البرزخ ؟

قال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى عند آية : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » الآية

قال : وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ ، ثم أورد حديث أبى داود الطيالسى بإسناده عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فان كان خيرا استبشروا به ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم الهمهم أن يعملوا بطاعتك » .

ثم أورد حديث الامام أحمد بإسناده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيرا استبشروا به ، وان كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا .

وروى الامام ابن المبارك بإسناده عن أبى الدرداء أنه كان يقول : ان أعمالكم تعرض على أمواتكم فيسرون ويساءون ، ثم يقول : اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند خالى عبد الله بن رواحة .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى » وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا ، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم .

وأورد أبو عبد الله القرطبى بإسناده الى سعيد بن المسيب أنه قال : ليس يوم الا تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم .

قال أبو عبد الله ولا تعارض — أى بين ما جاء عن سعيد وبين ما تقدم ، فإنه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام .

اهل البرزخ والاعمال التعبدية

لقد تفضل الله تعالى على انبيائه صلوات الله عليهم
باستمرارهم على صلواتهم وعباداتهم لربهم سبحانه وتعالى
في عالم البرزخ .

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة — رضى الله عنه —
في حديث الاسراء ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فاذا موسى قائم يصلى
فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة (أى فيه طول)
واذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى اقرب الناس
به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، واذا ابراهيم عليه
السلام قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم — يعنى نفسه
صلى الله عليه وسلم — فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت
من الصلاة قال لى قائل : يا محمد هذا مالك « صاحب
النار » فسلم عليه فالتفت اليه فبدانى بالسلام . وفى هذا
يخبر النبى صلى الله عليه وسلم عما رأى في ليلة الاسراء ،
وانه رأى الأنبياء يصلون فرادى ثم جمعتهم صلاة واحدة
فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اماما .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون ، ورواه أبو يعلى والبيهقى وقال الدارمى فى كتاب السنن . المعروف عند المحدثين بمسند الدارمى « باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته » ، ثم روى بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يقم — أى لم يقم فيه الصلاة — ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهممة يسمعها من قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ الزرقانى : فان قيل كيف تصلى الأنبياء وهم أموات فى الدار الآخرة ، وهى ليست دار عمل قال : أجاب القاضى عياض والعلامة السبكى بأنهم كالشهداء بل أفضل ، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يستبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا لأنهم وان ماتوا فهم فى هذه الدنيا (أى فهم لا يزالون فى هذه الدنيا من جهة وليسوا فى الآخرة من كل الاعتبار) .

والدنيا هى دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل وحاصله أن أهل البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور ، ثم قال : وتكفى رؤيته — صلى الله عليه وسلم — لموسى قائما يصلى فى قبره ، ولأن جميع الأنبياء لم يقبضوا حتى خيروا فى البقاء فى الدنيا وبين الآخرة ،

ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الأعمال الصالحة ، ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا أن انتقالهم الى الله تعالى بسبب الموت أكمل لما اختاروه ، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم الزيادة فيما يقرب الى الله تعالى لما اختاروا الانتقال .

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فاذا قبر انسان قرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى الرجل النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فاذا انسان يقرأ سورة الملك تبارك حتى ختمها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » .

وروى أبو نعيم بإسناده عن ابراهيم بن الصمة قال حدثنى الذين كانوا يمرون بالحصى بالاسحار قالوا كنا اذا مررنا بجنابات قبر ثابت البنانى سمعنا قراءة القرآن .

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب عن عيسى بن محمد قال : رايت أبا بكر بن مجاهد المقرئ فى النوم كأنه يقرأ وكأنى أقول له : مت وتقرأ ؟ فقال كنت أدعو الله تعالى فى دبر كل صلاة وعند ختم القرآن أن يجعلنى ممن يقرأ فى قبره أى فأعطى ذلك .

من هنا يتبين أن الأنبياء صلوات الله عليهم لا ينقطعون عن عباداتهم وصلواتهم « أى بعد موتهم » كذلك من أكرمه الله تعالى في الدنيا بالأعمال الصالحة والقراءات والتهجدات من عباده — العباد المؤمنين — فإنه سبحانه يكرمهم بعد الموت بالاستمرار عليها كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم : « يقال للقارئ يوم القيامة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

يعنى القارئ في الدنيا المواظب على قراءاته المستمر على تلاوته في الدنيا يكرم بالاستمرار عليها في الآخرة ، وهكذا المتجددون والمتعبدون كل على حسب مقامه .

وأما العمل الذى ينقطع بعد الموت فهو العمل التكليفى الدنيوى أى الذى هو من تكاليف عالم الدنيا قبل الموت ، فإنه ينقطع بالموت لفوات أوانه ، فالفرائض التى تركها في الدنيا لا تقضى هناك وزكوات لم يؤدها في الدنيا لا تؤدى هناك ، وواجبات تركها وعبادات أهملها وتطوعات قصر فيها ، فإنها إذا مات فاتته نعم ، إلا ما تسبب فيه من الأعمال الصالحة والأمور النافعة قبل الموت ، وهذا التسبب كالصدقة الجارية والولد الصالح يدعوه له ، والعلم الذى ينتفع به الى آخر ما تقدم ، فإن خيره يجرى عليه كما أن من ورث علما ضارا أو تسبب في عمل سيئ أو سن سنة سيئة فإنه بعد الموت يجرى عليه أثمه وأثم من عمل به كما جاء في الآية الكريمة : « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » .

أما عن تلاقى الأموات في عالم البرزخ وتساؤلهم وتزاورهم فيقول العلماء : لقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان المؤمن اذا قبض ، وفي رواية اذا حضر انتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى الى روح من الله » .

وفي رواية غير ابن حبان : « اخرجى أيتها النفس ، راضية مرضية عنك الى روح وريحان ، ورب غير غضبان » ، فتخرج (أى الروح) كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا فيشيمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون — أى أهل السماء — ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من الأرض ، ولا يأتون سماء الا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به ارواح المؤمنين . فلهم أثمد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون (أى الملائكة الذين معه) دعوه (اتركوه) حتى يستريح فانه كان في غم الدنيا فيقول (أى الميت) قد مات (فلان الذى سألتكم عنه قد مات) فيقولون : ذهب به الى أمه الهاوية » الحديث .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا ولى أحدكم أخاه (أى تكفينه) فليحسن كفنه فانهم بيعثون في أكفانهم ويتزاورون في أكفانهم » .

وروى الامام أحمد عن أم هانئ الانصارية رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

« تكون النسم (أى الأرواح) طيرا تعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها » .

وأخرج ابن أبى الدنيا باسناده أنه لما مات بشر بن البراء بن معرور رضى الله عنه وجدت (أى حزنت) عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله : لا يزال الهالك يهلك (أى يموت) من بنى سلمة فهل يتعارف الموتى فأرسل الى بشر السلام (أى مع الذين يموتون من بنى سلمة) .

فقال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤوس الشجر ، فكان لا يهلك (أى لا يموت) الهالك من بنى سلمة الا جاءت أم بشر فتقول : اقرا على بشر السلام » ، فكانت ترسل السلام مع الأموات الى ولدها .

هذا وان أكرم الزائرين هم الذين يمن الله تعالى عليهم بزيارة أكرم خلق الله تعالى على الله تعالى وهم الذين يجتمعون به ويلقونه صلى الله عليه وسلم ويكونون معه مرافقين له صلى الله عليه وسلم وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله .

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يجمعنا من فضله بصاحب الخاق العظيم فى جميع العوالم .

وقد ورد أن بلال بن رباح — رضى الله عنه — لما نزل به الموت جعلت زوجته تقول : واحرباه وجعل يقول : واطرباه غدا القى الأحبة محمدا وحزبه أ. ه .

فبلال يستبشر أن يلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجتمع به وبأصحابه في البرزخ كما كان يجتمع معه صلى
الله عليه وسلم في عالم الدنيا .

آتقاء اهل الدنيا بأهل البرزخ :

وأما عن التقاء أهل الدنيا بأهل البرزخ واتصالهم بهم
يقول العلماء : ان الالتقاء بأهل البرزخ وغيرهم من العوالم
الغيبية هو واقع ثابت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك
لما أعطاهم الله تعالى من قوة الإدراك والاتصال بتلك
العوالم ، قال الله تعالى : « واسأل من أرسلنا قبلك من
رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » .

ففي هذه الآية دليل على أن اجتماعه صلى الله عليه وسلم
بالرسل قبله والتقاءه بهم أمر ممكن الوقوع ، يسهل عليه
صلى الله عليه وسلم أن يحصل له . وقد قال بعض السلف
الصالح في معنى الآية : يعنى بذلك وأسألهم ليلة الاسراء فان
الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام اجتمعوا به كلهم في تلك
الليلة ولقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعهم .
حكى ذلك القول الحافظ بن كثير وغيره عن عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم وغيره .

ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم قد اجتمع بالأنبياء ليلة
الاسراء ، كما صح في الأحاديث الدالة على أنه صلى الله
عليه وسلم اجتمع بجميع الأنبياء ليلة الاسراء والمعراج في
بيت المقدس يقظة ، وصلى بهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم
اجتمع بهم في عالم السموات وتحدث معهم ، كما أنه اجتمع

في السماء الثانية بعيسى بن مريم الذي هو حي بالحياة الدنيوية فانه لم يموت وسوف ينزل آخر الزمن ثم بعد ذلك يموت في عالم الأرض كما تواتر ذلك في الأحاديث النبوية . ولما اجتمع النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس صلى بهم اماما كما جاء في صحيح مسلم وغيره ، ولما اجتمع صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة المعراج في السماوات جرت بينه وبينهم الأحاديث عن أمر الساعة وغيرها . كما ورد في سنن الترمذي والمسند عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم ، فقال : لا علم لى بها فردوا الأمر الى عيسى فقال : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد الا الله ، وفيما عهد الى ربى أن الدجال خارج ومعى قضيبان ، فاذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله تعالى اذا رآنى حتى أن الحجر والشجر ليقول : يا مسلم ان تحتى كافرا فتعال فاقتله ، فيهلكهم الله (أى يهلك الله تعالى الدجال واتباعه) . ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيطئون بلادهم ولا يأتون على شيء الا اهلكوه ، ولا يهرون على ماء الا شربوه ، ثم يرجع الناس الى (أى الى عيسى بن مريم عليه السلام) فيشكونهم أى فيشكون الى عيسى ما يلقون من أذى وشر يأجوج ومأجوج — فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض (أى تتغير) من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجرف اجسادهم حتى

يقذفهم في البحر ، قال عيسى عليه السلام : ففيمما عهد الى ربى أن ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتهم (اى كالحبلى التى آن وضعها) لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا او نهارا . » .

وفى ذلك كله دليل على اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالرسول قبله بلا شك ولكن تأويل الآية السابقة بهذا الاجتماع ليلة الاسراء فحسب فيه نظر ، بل الظاهر أن الآية وهى قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا » الآية . هى أعم من ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم قد مكنه الله تعالى بالاجتماع بالرسول قبله . متى أراد صلى الله عليه وسلم دون أن يتعين ذلك ليلة الاسراء ، كما مكن الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليهم من الاجتماع بمن مضى قبلهم فقد اجتمع كلهم الله موسى حين كان فى الدنيا بصفى الله آدم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وجرى بينهما الاحتجاج .

جاء فى الصحيحين والسنن واللفظ لأبى داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال موسى يا رب أرنا أبانا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله أباه آدم عليه السلام فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال نعم . فقال : أنت الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الاسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم » الحديث .

وأما الاجتماع يقظة بأهل البرزخ والاطلاع على أحوالهم يقظة بالنسبة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فان ذلك

لا يناله الا من اكرمه الله تعالى من عباده الصالحين ، وذلك على وجهين أحدهما أقوى من الآخر كما هو مفصل في موضعه من كلام العارفين رضى الله عنهم ، ومن ذلك اكرام الله تعالى لبعض أوليائه بالاجتماع يقظه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذهم عنه صنوفا من البشائر والمعارف والمواهب الالهية .

ذكر الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى فى كتابه الوحيد قال : كان للشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه صلة بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم رد عليه السلام ويجاوبه اذا تحدث معه . وأما الاجتماع بأهل البرزخ مناما فهو أمر حق كثير الوقوع فيه من الفوائد والعوائد ما فيه ، وهو على وجهين أيضا :

أما أن يكون عن رغبة من النائم وهذا أمر ظاهر أو عن رغبة ممن هو فى عالم البرزخ ، كما يدل على هذا ما جاء فى قصة ثابت بن قيس بن شماس — رضى الله عنه — وقد رواها الامام البغوى وابن المنذر والطبرانى والحاكم وغيرهم ، عن عطاء الخرسانى قال : قدمت المدينة فلقيت رجلا من الأنصار قلت : حدثنى حديث ثابت بن قيس بن شماس ، فقال الأنصارى : قم معى ، فانطلقت معه حتى دخلت على امرأة فقال الأنصارى : هذه ابنة قيس بن شماس فأسألها عما بدا لك ، فقلت لها : حدثينى — أى عن أبيك — فقالت : سمعت أبى لما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت

النبي « ، دخل بيته وأغلق بابه ، وطفق يبكي ، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما شأن ثابت ؟ فقال يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ما شأنك ؟ قال يا رسول الله : أنزل الله عليك هذه الآية وأنا شديد الصوت فأخاف أن أكون قد حبط عملي . فقال صلى الله عليه وسلم لست منهم بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، قالت ثم أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يحب كل مختال فخور » ، فأغلق عليه بابه وطفق يبكي فيه فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما شأن ثابت ؟ قالوا يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه أغلق عليه بابه وطفق يبكي ، فأرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما شأنك ؟ فقال : يا رسول الله أنزل الله عليك هذه الآية : « ان الله لا يحب كل مختال فخور » . والله اني لأحب الجمال وأحب أن أسود قومي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست منهم بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، ويدخلك الله الجنة بسلام ، فقال : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب (أى مجاهدا) فلما لقي أصحاب رسول الله قد انكشفوا فقال ثابت لسالم مولى أبى حذيفة أحد قراء الصحابة بالصوت الحسن ، قال له ثابت : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حفر كل منهما لنفسه حفرة وحمل عليهم القوم فثبنا حتى قتلا ، وكانت على ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر

إليه رجل من المسلمين فأخذه . فبينما رجل من المسلمين نائم إذا أتاه ثابت بن قيس في منامه فقال له : انى أوصيك بوصية أياك أن تقول هذه حلم فتضيعه ، انى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى العسكر فعند خبائه فرس يستن فى طوله ، وقد كفا على الدرع برمة (أى قدر) وجعل فوق البرمة رحلا فأت خالد بن الوليد قائد الجيش فمره أن يبعث الى درعى فليأخذها ، وإذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر فأخبره أن على من الدين كذا وكذا ، ولى من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق ، وفلان . فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه يعنى أنه منام ورؤياه حق فلا تضيعه .

فأتى الرجل خالد بن الوليد فأخبره بما رأى فبعث خالد الى الدرع فنظر الى خباء فى أقصى العسكر فاذا عنده فرس يستن فى طوله ، فنظر الى الخباء فاذا ليس فيه أحد فدخلوا فرفعوا الرحلة فاذا تحته برمة ، ثم رفعوا البرمة فاذا الدرع تحتها ، فأتوا به خالد بن الوليد ، فلما قدموا المدينة حدث الرجل الراى أبا بكر رضى الله عنه برؤياه فأجاز وصيته — أى وصية ثابت بعد موته — ولا يعلم أحد من المسلمين جوزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه .

وفى هذا دليل على أن أهل البرزخ قد يتقصد بعضهم الاجتماع بأهل الدنيا — عن طريق الرؤيا — كما أنه يدل أيضا على مشاهدة الشهداء ما يجرى من أمور الدنيا ، كما

يشاهد أيضا أمور الآخرة ، و لكن كل شهيد له من الشهود على حسب مقام شهادته ، و ان مقام النبوة هو أرفع وأعظم وأسمى وأعلى من مقام الشهادة .

فللأنبياء من المشاهدات والاطلاعات على العوالم ما لا يكون لغيرهم ، صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم أجمعين .

نفخة الصعق

قال تبارك وتعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » .

قال العلماء : والمراد بالمستثنى هنا هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقيل الشهداء ، قال الشيخ أبو العباس القرطبي والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل .

روى الشيخان مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك . أين ملوك الأرض ؟

وفي رواية لمسلم يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ . وفي رواية أخرى يأخذ الله سمواته وأرضه بيده فيقول : أنا الله ، أنا الملك ، لمن الملك اليوم ، فلا يجيبه أحد ، فيقول جوابا لنفسه : لله الواحد القهار . وذلك

ان امر الله تعالى اسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فصعق
 من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله . فاذا
 اجتمعوا موتى جاء ملك الموت الى الجبار فيقول يا رب قد
 مات أهل السماء وأهل الأرض الا من شئت ، فيقول سبحانه
 وتعالى : فمن بقى ؟ (وهو أعلم) فيقول بقيت أنا وبقيت
 حملة العرش ، وبقي جبريل وبقي ميكائيل واسرافيل ،
 فيقول الله عز وجل ليئت جبريل وميكائيل . ثم يأتى ملك
 الموت الى الجبار فيقول : يا رب قد مات جبريل وميكائيل
 وبقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت
 أنا . فيقول ليئت حملة عرشى فيموتون . ثم يقول الله تبارك
 وتعالى ليئت اسرافيل فيموت ، ثم يأتى ملك الموت فيقول
 يا رب قد مات حملة عرشك ومات اسرافيل وبقيت أنا ،
 فيقول الله تعالى : أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت
 فمت فيموت ملك الموت ، فاذا لم يبق سوى الله الواحد
 القهار طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم قال أنا الجبار ،
 لن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد . ثم يقول لله الواحد
 القهار . ذكره الطبرى .

النفخة الثانية

قال تعالى « ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ،
 وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين
 والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل
 نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » .

وقى هذه النفخة يقول تبارك وتعالى : « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا » ، ويقول جل شأنه « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » .

ويقول تبارك اسمه : « يوم يدعو الداع الى شيء نكر ، خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » .

ويقول جل جلاله : « واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . انا نحن نحيى ونميت والينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يهسر » .

جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله تعالى يجمع كل ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وهبوب الرياح ، وحياتان ساء ، وبطن الأرض ، وما أصابت النيران بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما أبلته الشمس ، فاذا جمعها الله تعالى واحمل كل بدن منها ولم يبق منها الا الأرواح ، جمع الله الأرواح في الصور وأمر اسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها باذن الله تعالى .

يبعث كل عبد على ما مات عليه

اعلم يا أخا الاسلام ان في ساحات القيامة مشاهد مختلفة ، فمن أناس يأخذون كتبهم بأيمانهم ، وآخرين يأخذون كتبهم بشمائلهم ، ومن أناس يخرجون من القبور يسألون من بعثنا

من مرقدنا ، فيقول لهم أهل اليقين : هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون . ومن أناس بيض الوجوه ، وآخرين
سود الوجوه ، ومن أناس تخف موازينهم وآخرين تثقل
موازينهم .

قال تبارك وتعالى يشرح تلك المشاهد : (يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه ، فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد
إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » ، وقال جل جلاله :
« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرعوا كتابيه ،
انى ظننت انى ملاق حسابه : فهو فى عيشة راضية . فى
جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما
أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله ،
فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابه . يا ليتها
كانت القاضية . ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه .
خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم .
ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم .
ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون » .

وقال جل فى علاه يبين تلك المشاهد : « ويوم يعرض الظالم
على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . ياويلتا
ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ
جاعنى وكان الشيطان للانسان خذولا » .

وقال سبحانه : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » .

ومن هذه المشاهد ما قصه الله في شأن الظالمين . قال سبحانه : « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعين رعونسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وإنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وفتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال . وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال . وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم وأن كان مكرمهم لتزول منه الجبال . فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار . ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب . هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب » .

روى الإمام مسلم مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يبعث كل عبد على ما مات عليه » .

وروى البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال « اذا اراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم .
ثم بعثوا على نياتهم » .

وروى أبو داود أن عبد الله بن عمرو قال : يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو ؟ فقال « يا عبد الله ان قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا ، وان قتلت مرأيا مكاثرا بعثت مكاثرا مرأيا ، على أي حال قتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحالة » .

وفي الحديث « من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ، ويعاين منكرا وتكبرا سكران ، ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق في وسط جهنم يسمى السكران ، فيه عين تجري ماء ودما لا يكون له طعام ولا شراب الا منها » .

وفي صحيح مسلم « أن رجلا وقصته ناقتة وهو محرم فمات ، فقال صلى الله عليه وسلم : أغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه طيبا ، ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا » .

وصح عن جابر رضى الله عنه أنه كان يقول : « ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى » ، وفي الحديث مرفوعا « أخبرني جبريل ان لا اله الا الله أنس المؤمن عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره ، يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون عن رؤوسهم التراب ، هذا يقول لا اله الا الله ، وهذا يقول :

الحمد لله فيبيض وجهه، وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم » .

وفي الحديث أيضا مرفوعا « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم ، كأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رعوسهم وهم يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » .

وروى مسلم وابن ماجه مرفوعا « تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلاباب من لعنة الله ، ودرع من نار ، ويدها على رأسها تقول يا ويلاه » .

وفي رواية « وأن النائحة اذا ماتت قطع الله لها ثيابا من نار ، ودرعا من لهب النار » .

وفي رواية أخرى « النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يؤمر بهن الى النار » .

وكان ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقولون في قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » . المعنى لا يقومون من قبورهم الا واحدهم يجعل معه شيطان يخنقه .

وقال بعض العلماء : ان الربا يربو في بطونهم فيثقلهم اذا

خرجوا من قبورهم فيقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم ، فيجعل الله تعالى هذه العلامة لأكلة الربا يعرفون بها في المحشر .

وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي الحديث عن ابن عمر قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ويده اليمنى على أبي بكر واليسار على عمر فقال : هكذا نبعت يوم القيامة » .

وتبعث الأيام والليالي كذلك ، روى بإسناد صحيح مرفوعا « أن الله عز وجل يبعث الأيام والليالي على هيئتها ، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة ، وأهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضا ، وريحهم يسطع كالمسك ، يخوضون في جبال الكافور ، ينظر اليهم الثقلان ما يطفرون تعجبا ، يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤمنون المحتسبون » .

وروى الحافظ أبو نعيم عن أبي عمران الجوني أنه كان يقول : ما من ليلة إلا وهى تنادى اعملوا في ما استطعتم من خير ، فلن أرجع إليكم اليوم القيامة .

وبعد .. فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا قبل الموت توبة ، وعند الموت شهادة ، وبعد الموت جنة ونعيما وملكا عظيما .

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنوا .
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد » .

صدق الله العظيم وبلغ رسوله الأمين ونحن على ذلك
من الشاهدين .

المؤلف

حينما بدانا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لانه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنا من مختلف أنحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

- عبد الحميد سيد العزيز محمد كشك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٢٣ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، انعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الاول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨.٥ % .
- التحق بكلية أصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالمية ، وكان ترتيبه الاول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الاوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤
- والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشوارع مصر والسودان بالقاهرة .

التأثير

الفهرس

صفحة

٥	بـقـدـمـه
٩	ما جاء عن ملك الموت
١٣	الامانة عند الدفن
١٤	وصول قراءة القرآن للميت
١٩	ما يصل المسلم بعد موته
٢٣	احب الاماكن للدفن
٢٨	تعذيب الميت ببكاء اهله عليه
٣٠	ما يقال عند وضع الميت في القبر
٣١	الوقوف على القبر بعد الدفن
٣٢	ما يجب على اهل الميت
٣٦	اول ما يلقي الميت اذا دخل القبر

رقم الايداع ١٩٨٠/٥٠٦٩

ISBN ٩٧٧-٧٣٢٢-٢٤-٧ الترقيم الدولي